



البحث العلمي الفلسطيني الحديث والمعاصر بشأن القدس: فجوات وآفاق

د وليد سالم

مدير تحرير مجلة المقدسية

محاضر في برنامج ماجستير دراسات القدس - جامعة القدس

مقدمة

لا تعدو هذه الورقة كونها توطئة لبحث موسع يجري العمل عليه من قبل الباحث بشأن موضوع كبير يتعلق بالفجوات البحثية المتعلقة بالقدس. تحصر الورقة نفسها تحديداً بالفجوات البحثية كما رصدها الباحث في الدراسات الفلسطينية عن المدينة، على أن تعالج الفجوات في الأبحاث العربية والعالمية بشأن المدينة في بحث لاحق. كما تحصر نفسها بالأبحاث الفلسطينية عن القدس في التاريخ الحديث والمعاصر دون التطرق لهذه الأبحاث في الفترات الأسبق.

تبدأ الورقة بعرض مكثف عن مسار البحث العلمي الفلسطيني الحديث والمعاصر بشأن القدس منذ أواخر العهد العثماني، وعهد الانتداب البريطاني وحتى اليوم، ثم تنتقل لاستعراض الفجوات البحثية فيه بشأن القدس كما رصدها دراسات سابقة حتى عام 2009، وتقدم بعد ذلك قراءتها لهذه الفجوات من 2010 إلى 2023 استناداً إلى الأبحاث السابقة والتحويلات

التي طرأت على واقع القدس خلال تلك السنين، ثم تتطرق للتحديات التي يواجهها البحث الفلسطيني بشأن القدس، وتنتهي الورقة باقتراح ثمانية رزم بحثية بشأن القدس لا زالت تنتظر العمل عليها و/ أو توسيع ما هو قائم بشأن بعضها وإغنائها في الأبحاث الفلسطينية عن المدينة. تعتمد الورقة أيضاً على المتابعة الشخصية للباحث للدراسات عن القدس على مدى السنوات الخمسين الماضية وعمله في السنوات الأخيرة في تدريس مساقات «محاضرات» عن القدس لطلبة الماجستير وفي إدارة تحرير مجلة المقدسية المتخصصة بدراسات القدس، والتي يشرف عليها ويرأس تحريرها الأستاذ الدكتور سعيد أبو علي.

الأبحاث الفلسطينية الحديثة والمعاصرة عن القدس: عرض تاريخي موجز

في التاريخ الحديث والمعاصر، منذ أواخر العهد العثماني وفترة الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى اليوم، يجد المرء أيضاً من الأبحاث الأثرية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية وأعمالاً أدبية وفنية وثقافية فلسطينية عن القدس، تمثل خليطاً من الأبحاث العلمية المعمقة والمقالات الخطابية والإنشائية، إذ اجتمع على كتابتها باحثون متمرسون ومثقفون عموميون وهواة يكتبون حباً للقدس، وإن دون تمرس. وقد شهدت هذه الأبحاث فورة أولى منذ نهاية العهد العثماني وخلال عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وثانية بعد انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة وما رافقها من مساهمات بحثية بارزة، لاسيما المؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية خارج فلسطين. وثالثة انطلقت من القدس وخلقت تفاعلات خارجها منذ عام 1977، ولا زالت مستمرة حتى اليوم، وقد شهدت هذه المرحلة الثالثة قفزة نوعية في الأبحاث عن القدس بدأت عشية دخول الألفية الثالثة.

أواخر العهد العثماني وعهد الانتداب

تميزت نهاية العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني بدراسات علمية عن فلسطين عامة شملت القدس، ومنها دراسات تتعلق بالآثار والتاريخ لديميتري برامكي وعارف العارف



وعبد الله مخلص، والجغرافيا لمصطفى مراد الدباغ، والحياة الريفية والفولكلور لتوفيق كنعان وحناسطفان وفايز الغول، ودراسات غزيرة بشأن مناهضة الاستعمار والحركة الصهيونية، ودراسات عن تاريخ القدس والمسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية والمسيحية لعارف العارف وعبد الله مخلص وغيرهما، وكذلك بعض الدراسات القليلة التي تناولت الوضع الاقتصادي في فلسطين عامة ومنها القدس لسعيد حمادة ومحمد يونس الحسيني وعادل جبر، وتميز عارف العارف بكتابه «المفصل في تاريخ القدس» والذي يغطي مختلف جوانب حياة المدينة حتى عام 1947، كما نُشرت أبحاث في التربية من قبل أحمد سامح الخالدي وخليل طوطح، وأبحاث نقدية في الأدب والسياسة من إسحق موسى الحسيني. لقد مثلت هذه الدراسات عددًا من التيارات:

أولاً، التيار العلمي في الدراسات الفلسطينية عن القدس وفلسطين آنذاك. إلا أن تيار الدراسات العلمية لم يكن وحده في تلك الفترة، فقد نشأت تيارات فكرية متنوعة أخرى في فلسطين لعب المفكرون المقدسيون دورًا فيها.

ثانيًا، التيار الإصلاحي للدولة العثمانية كالشيخ علي الريماوي وخليل الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي، والمفكرين يوسف ضياء الخالدي وروحي الخالدي، ومن المسيحيين انضم لهذه الفئة نجيب الساعاتي وغريغوريوس حجار وأنسطاس الكرمل و خليل بيدس، الذي أصدر كتابًا عن القدس، إضافة إلى أعماله القصصية والروائية ومقالاته.

ثالثًا، التيار الوطني الفلسطيني الذي تعزز بعد فصل فلسطين عن سوريا في نهاية العهد العثماني، حيث خضعت الأولى للانتداب البريطاني، فيما خضعت الثانية للاحتلال الفرنسي، وكان الصحفي نجيب نصار من أول دعاة الوطنية الفلسطينية، إذ كان أول من وضع دراسة عن الحركة الصهيونية وأطامعها في فلسطين حتى عام 1905، مما يترتب عنه حالة مختلفة عن سورية ولبنان تقوم على مقاومة الوطنية الفلسطينية للمساعي الصهيونية للسيطرة على فلسطين. وبعد أن تكرر الانتداب البريطاني على فلسطين تعزز هذا التيار، ونشط باسمه

من الكتاب والباحثين الذين جمعوا بين العمل السياسي والفكري / والأدبي من القدس، مثل: جمال الحسيني وأحمد حلمي عبد الباقي وآخرون كثيرون ممن انخرطوا في الحركة الوطنية الفلسطينية، التي نشأت عام 1919 وعقدت ثمانية مؤتمرات وطنية بين 1919 وحتى عام 1928.

رابعاً، تيار القومية العربية، الذي رفض فصل فلسطين عن سورية، وكان من رواده المؤرخ عارف العارف الذي أصدر جريدة «سورية الجنوبية»، وهو الاسم الذي أطلقه على فلسطين.

التيار الخامس، كان التيار الماركسي، وكان من رواده المناضل - الباحث نجاتي صدقي، والمؤرخ بندلي جوزي، وكلاهما من القدس، وكثوم عودة الباحثة والمترجمة من الناصرة.

ويمكن إطلاق اسم التيار الإنساني على التيار السادس؛ إذ آمن بأولوية الإنسان على الانتعاشات الوطنية والقومية ومن رواده خليل السكاكيني، الذي كان في الواقع يحمل توجهات متناقضة، فقد دعا للإنسانية قائلاً: «أنا لست مسيحياً ولا بوذياً ولا مسلماً ولا يهودياً، كما أنني لست عربياً ولا إنكليزياً ولا فرنساوياً ولا ألمانياً ولا تركياً، بل أنا فرد من أفراد الإنسانية» (السكاكيني، الكتاب الثاني من يومياته: يومية 21 آذار 1915، ص. 157 - 158). ولكنه من جهة أخرى كتب مراراً في جريدة سورية الجنوبية آفة الذكر داعياً لعدم فصل فلسطين (سورية الجنوبية) عن سوريا.

اهتمت دراسات النساء في تلك الفترة بوضع المرأة في فلسطين، إضافة للقضايا الوطنية العامة، وكان من الباحثات النسويات عنبرة سلام الخالدي، ومثيل مغنم، وأسمى طوبي، وهالة السكاكيني وغيرهن ممن لم تكن دراساتهم ومقالاتهن الأدبية والفكرية كلها محصورة بالقدس تحديداً.

وعاش في فلسطين في تلك الفترة باحثون عرب، بعضهم لفترة قصيرة كنجيب عازوري، الذي كان من أوائل من نبهوا لخطر الصهيونية على فلسطين في كتابه يقظة الأمة العربية



عام 1905، أو لفترة طويلة كالمؤرخ جورج أنطونيوس الذي عاش في المدينة ودفن في دير النياحة فيها، وعجاج نويهض الذي انضم إلى الحركة الوطنية الفلسطينية وألّف عدة كتب عن فلسطين وثورتها ورموزها.

تجدر الإشارة إلى غياب توثيق شامل للتنتاجات الفكرية والأدبية لتلك الفترة عن القدس، وذلك رغم الجهود الكبيرة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، وجهود مؤسسات ودور طباعة في إعادة نشر بعضها. وترتب عن هذا الغياب مشكلة للأبحاث الفلسطينية اللاحقة عن القدس، حيث إنه قلماً تقتبس هذه الدراسات من أبحاث تلك الفترة وتبني عليها. فمن مثلاً يقتبس من كتاب عبد الله مخلص عن المسجد الأقصى المبارك على سبيل المثال لا الحصر، وغير ذلك من عشرات الأمثلة الأخرى. يمثل ذلك الفجوة الأولى في الأبحاث الفلسطينية عن القدس، وهي فجوة الانقطاع بين الأبحاث السابقة للعهدين العثماني والانتدابي، والتي ترتب عنها مشكلة تتمثل في الغياب الجزئي للتراكم المعرفي التاريخي للأبحاث الفلسطينية عن المدينة.

الثورة الفلسطينية والأبحاث عن القدس

مع انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة، حصل نمو كثيف في الأبحاث المذكورة، وكتبت دراسات عن المواقع والقرى المدمرة، وعن المدن الفلسطينية قبل النكبة، وعن أسماء المواقع الفلسطينية قبل تغييرها بما في ذلك في القدس، وانتشرت الدراسات المتعلقة بتشريح الرواية الصهيونية، والتي تتحدث عن الحقوق الفلسطينية وعن النكبة وآثارها وحق عودة اللاجئين، وقد حصل تراجع في حجم وزخم هذه الأبحاث مع إخراج الثورة الفلسطينية من لبنان عام 1982.

ومع عام 1977، بدأت عملية بحثية لكل فلسطين من القدس انطلاقاً من فهم دور القدس المركزي بالنسبة لفلسطين، وكان ذلك بإنشاء الملتقى الفكري العربي في القدس في ذلك العام بمبادرة من الشخصية الوطنية الفكرية المعروفة السيد إبراهيم الدقاق، واهتم الملتقى بإنتاج تصور تنموي لفلسطين يكون أحد الروافع النضالية نحو الاستقلال وإقامة

دولة فلسطين على حدود عام 1967، وأصدر الملتقى دراسات عن المستعمرات في القدس وعن مؤسساتها وآفاق التنمية فيها، ومنذ عام 1987 أصدر الملتقى مجلة «شؤون تنموية» التي نشرت مقالات ودراسات عديدة بشأن فلسطين عامة والقدس خاصة. ولحقت جمعية الدراسات العربية عام 1980 بالملتقى الفكري العربي، وقد أسسها القائد الوطني الراحل فيصل الحسيني، كجمعية متخصصة بالدراسات عن فلسطين والقدس، وأنشأ داخلها مراكز للتوثيق والأبحاث والنشر والجغرافيا ودراسات الأراضي والتخطيط وحقوق الإنسان وغيرها، وأصدر دراسات وأعمال أرشفة وتوثيق عن فلسطين والقدس، كما نشرت مجلة «دراسات عربية» التي اشتملت على دراسات عن القدس. لهذا كله يمكن اعتبار جمعية الدراسات العربية بأنها الجمعية الأولى بعد حرب عام 1967 التي لم تكتفِ بالدراسات عن فلسطين عامة، وإنما ألحقتها بأقسام عملت للتخطيط لمستقبل القدس من النواحي كافة (نشرة أبحاث جامعة بيرزيت، 1985).

في عام 1983 أنشئت مؤسسة التعاون خارج فلسطين، ولكنها قامت، إضافة لترميم المباني الأثرية والبيوت في القدس، بإصدار نشرة «تراث» التي تضمنت مقالات ذات طابع صحفي عن القدس (النتشة، صيف 2002)، وفي نيسان من عام 1985 أصدر أمين القدس روجي الخطيب من منفاه في عمان مجلة متخصصة بالقدس باسم «القدس الشريف»، وصدر من المجلة 96 عددًا حين توقفت عن الصدور بعد عدد آذار من عام 1993 (صالح، 2011)، وفي عام 1987 قام الدكتور مهدي عبد الهادي بإطلاق الجمعية الفلسطينية الأكاديمية لدراسة الشؤون الدولية (باسيا)، وقد أولت الجمعية اهتمامًا خاصًا بالدراسات التاريخية والسياسية بشأن القدس وأصدرت عددًا وافراً من هذه الدراسات ولا تزال، ويمكن اعتبار مؤسسة باسيا على أنها المؤسسة البحثية الأولى، التي أعطت قسطاً وافراً من عملها للأبحاث عن القدس. وجاءت انطلاقة باسيا مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ذات العام. وإلى جانب باسيا واصل باحثون أبحاثهم العلمية المميزة عن القدس كالعلامة كامل العسلي، وحسن سلوادي، ومشهور الحباري على سبيل المثال لا الحصر، وتركزت



أبحاثهم فيما تركزت على القدس في عهد الإسلام ودراسات وكتب عن فضائل القدس. وقد حفزت الانتفاضة الدائرة الاقتصادية في منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد قريع أبو علاء للبدء بإعداد تصورات مبنية على دراسات علمية من قبل فريق ترأسه الدكتور يوسف الصايغ حول المقومات الاقتصادية والسياسية والمؤسسية للدولة الفلسطينية المستقلة التي ستنشأ، وكيفية تنظيم وضع القدس كعاصمة لتلك الدولة، وقد أنجز الفريق المسودة الأولى في آب من عام 1989 والنهائية في حزيران 1990 (الصايغ، 1990). وشاركت طواقم فنية من الداخل في إعداد الوثائق التي أنجزها الفريق (نسيبة، الصفحة الإلكترونية). كما نشطت الأوقاف الإسلامية في إنتاج أبحاث، ولاحقاً عقد مؤتمرات سنوية عن الأوقاف الإسلامية في القدس.

وبعد توقيع اتفاق إعلان المبادئ الشهير باتفاق أوسلو في أيلول من عام 1993، تنامي اتجاهان من الأبحاث: الأول، ركز على السياسات والإستراتيجيات الشاملة للانتقال من الحكم الذاتي إلى الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، فيما ركز الثاني على دراسة سيناريوهات الحل المستقبلي في القدس من النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والأمنية والدينية والبيئية وغيرها، وشملت الدراسات إجراء مقارنات مع مدن أخرى مقسمة أو كانت مقسمة، مثل: بلفاست عاصمة إيرلندا الشمالية وبرلين عاصمة ألمانيا وبروكسل عاصمة بلجيكا وموستار عاصمة الهرسك. واستمر هذا النوع من الأبحاث في حالة ازدهار حتى عام 1999، حين تبين أنه لم يتم التوصل إلى حل نهائي حتى أيار منه، كما نصت على ذلك الاتفاقيات الموقعة. بعد ذلك التاريخ أخذ البحث الفلسطيني بشأن القدس وجهة أخرى على مشارف الألفية الثالثة.

الأبحاث عن القدس في القرن الحادي والعشرين

في تلك الأثناء، حدث انعطاف نوعي في الأبحاث الفلسطينية عن القدس، بحيث أصبحت أكثر عمقاً وتخصصية، اتجهت لمعالجة قضايا القدس المحددة لتعزيز الإنتاج البحثي العلمي الفلسطيني عن التاريخ الإنساني والاجتماعي والاقتصادي للقدس، وما تعاقب على

حكمها طوال قرون والذي أنتج تعدديتها المذهلة كمدينة، وفي مواجهة أساطير البحث الصهيوني المدعوم أفنجيلياً حول القدس وأهميتها لليهود، والادعاءات بأنها لم تكن ذات أهمية للمسلمين ولم تذكر إلا لماماً في القرآن، وأنها لم تكن عاصمة تاريخياً قط إلا لليهود، وأن أغلبية يهودية قد نشأت فيها منذ العهد العثماني، وأن سكانها الفلسطينيين هم عبارة عن وجود مهاجر من الدول العربية والإسلامية وليس أصلياً، وأن المسجد الأقصى المبارك أقيم على أنقاض الهيكل. من جهة أخرى، اكتشف الباحثون الفلسطينيون أن البحث الفلسطيني بشأن القدس لا زال متأخراً قياساً بالأبحاث التي صدرت وتصدر عنها باللغات الأجنبية ومن المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية. بدأ هذا النوع من البحث بإصدار مجلة «حوليات القدس» بالعربية، ومجلة «Jerusalem Quarterly File» بالإنكليزية عام 1998 من قبل مؤسسة الدراسات المقدسية المنبثقة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا تزال النسخة الإنكليزية من هذه المجلة الفصلية تطبع حتى الآن، فيما توقفت «حوليات القدس» باللغة العربية عن الصدور بعد طباعة 18 عدداً منها بين ربيع 2002 وحتى شتاء 2014. وقد ترافق مع صدور المجلة المذكورة دفقة من الأبحاث بشأن القدس، قامت ولا تزال تقوم بها مؤسسة الدراسات الفلسطينية، كان ولا زال يساهم فيها سليم تماري ورشيد الخالدي وعصام نصار ونظمي الجعبة وغيرهم كثيرون.

كما نشطت دائرة القدس في منظمة التحرير الفلسطينية في عقد مجموعة من المؤتمرات المتسلسلة عن القدس ونشرت العديد من الأبحاث عنها في مجلة «صامد الاقتصادي» التي تصدر عن الدائرة، كما توسع نشر مواضيع عن القدس في مجلة «شؤون فلسطينية» المنبثقة عن مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. ولاحقاً انضمت جامعة القدس بإنشاء برنامج ماجستير الدراسات المقدسية عام 2016، ومجلة المقدسية الفصلية المتخصصة بدراسات القدس منذ مطلع عام 2019، ومجلة القدس العلمية الصادرة عن عمادة البحث العلمي في الجامعة باللغتين الإنكليزية منذ 2021 والعربية منذ 2022، وراحت تعقد المؤتمرات العلمية المتخصصة عن القدس، ونشطت جامعة القدس المفتوحة في النشر عن القدس في مجلاتها



العلمية المتعددة، وعقدت جامعة القدس مؤتمراً عن القدس عام 1997 ساهم في تنظيمه كاتب هذه السطور، وعقدت جامعة بيرزيت مؤتمراً علمياً متخصصاً عن المستقبل السياسي للقدس عام 1998، شارك فيه كاتب هذه السطور، وبادرت جامعة النجاح بعقد مؤتمر بحثي سنوي عن القدس عقد مؤتمره الخامس عشر عام 2022، وفي العام ذاته، عقدت مؤسسة القدس الدولية مؤتمرها السادس عشر عن القدس في مدينة غزة. وازدادت الأبحاث عن القدس في مجلة الدراسات الفلسطينية بطبعتها العربية والإنكليزية، ونشط باحثون في تحقيق المزيد من كتب فضائل القدس، كما انضمت كوكبة متزايدة من الباحثين الفلسطينيين، لاسيما الشباب في الوطن وفي كل أرجاء العالم في إنتاج أبحاث علمية رائدة عن المدينة بمختلف لغات العالم.

الأبحاث الفلسطينية عن القدس: الفجوات من وجهة نظر الباحثين الفلسطينيين

قسّم دومانى اتجاهات البحث التاريخي بشأن فلسطين عام 1991 إلى ثلاثة اتجاهات، هي: الدعوة للمعركة، والتماس العدل، والتأكيد على الهوية، تم تجاوزها لاحقاً بأبحاث علمية وإن ظلت آثارها باقية (دومانى، 1991)، وكانت هذه الاتجاهات الثلاثة لازالت طاغية عندما كتب دومانى مقالته. وقد شملت هذه الاتجاهات الأبحاث عن القدس، تلك التي كرسّت للدعوات للذود عن الأقصى وكنيسة القيامة وتحرير القدس من دنس الغاصبين، أو مناشدة المجتمع الدولي لتطبيق قراراته ونصرة فلسطين ودعوة شعوب العالم للتضامن مع الشعب الفلسطيني وحماية مقدساته، أو التأكيد على ثبات الهوية الوطنية الفلسطينية للمقدسيين رغم كل محاولات التهويد والأسرلة. كل هذه الدعوات كانت محقة، ولكنها لم تكن تشكل أبحاثاً علمية كاملة عن القدس، وغلبت عليها اللغة العاطفية والإنشائية. فهل تغيرت الحالة نحو البحث العلمي الأعمق بشأن المدينة بعد تسعينيات القرن الماضي؟

بعد خمسة عشر عاماً، أي في عام 2006، قسّم كاتب هذه السطور الأبحاث الفلسطينية بشأن القدس إلى ستة أصناف هي: أبحاث إثبات السيادة الفلسطينية على القدس والتأكيد على أبعادها العربية الإسلامية والمكون المسيحي فيها، وتطوير سيناريوهات للحل السياسي

المستقبلي في المدينة، ووصف وتحليل تطورات وآثار الاستيطان الاستعماري والاحتلال ومخططاته الحضرية في المدينة، وتشريح تناقض سياسات الاحتلال بشأن القدس ومواطنيها الفلسطينيين في المدينة مع القوانين والقرارات الدولية، هذا عوضاً عن دراسات في تاريخ المدينة في حقب مختلفة (Salem, 2016). يشير هذا التقييم إلى تقدم في نوعية الأبحاث واتجاهاتها عما كانت عليه في تسعينيات القرن الماضي. ولكن بقيت هناك فجوات، وضع اليد عليها كل من الخالدي وسرور ودوماني والجمعية خلال العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين.

في مقالة ملفتة عن منهجية البحث حول القدس كتبها رشيد الخالدي (الخالدي، 2005)، أشار الباحث إلى غياب وجود كتاب شامل عن تاريخ القدس، وانتقد كتاب كامل العسلي بهذا الخصوص على أنه كتاب محرر مكتوب من عدة كتاب استعملوا لغة ومنهجيات مختلفة، كما أن كتاب كارين أرمسترونغ الشامل قد جاء ككتاب غير أكاديمي. وطرح الكاتب وجود فجوات أخرى تتعلق بغياب وجود بحث شامل وموثق عن تاريخ بلدية القدس منذ نشأتها عام 1863، وآخر يؤرخ التخطيط الحضري للمدينة، و/أو نمو أحيائها، وثالث عن التاريخ الديني والعلاقة المسيحية الإسلامية في المدينة، ورابع عن تاريخ الصحافة والأدب فيها، وإن وجدت أبحاث مختلفة بهذا الشأن، وخامس عن تاريخ المعاهد في المدينة، وسادس يمثل اتجاهًا بحثيًا كاملاً يتعلق بتتبع التغيرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي جرت في المدينة خلال حقبة تاريخية مختلفة، واتجاه بحثي سابع يتعلق بمواجهة الأساطير الصهيونية حول القدس، مثل الادعاء بأنه كان هناك أغلبية يهودية في المدينة خلال العهد العثماني، وأنها لم تكن يوماً عاصمة لفلسطين، وادعاء أن قلعة القدس هي قلعة داود، وكل الادعاءات الأخرى المتعلقة بالهيكل وآثار المدينة القديمة.

في سياق متصل، كتب الجمعية (الجمعية، 2019)، أن هنالك مبالغة في الكتابة عن فترات تاريخية دون غيرها عند الكتابة عن القدس، حيث يركز الإسرائيليون على فترة مملكتي داود وسليمان والوجود اليهودي اللاحق لهما، وكذلك على «عودة اليهود» كما تسمى منذ



نهايات العهد العثماني، وصولاً إلى إعادة «توحيد المدينة» تحت الحكم اليهودي عام 1967. كما تظهر الدراسات الإسرائيلية الفلسطينية على أنهم سقطوا على هذه الأرض في فترات معينة بالخطأ وفي اللامكان. أما المسلمون والعرب فيركزون أبحاثهم على الفترة الإسلامية، وتتسلل الرواية التوراتية إلى أبحاثهم بشأن الفترات الأخرى. ويشير الجعبة إلى نقص كبير في كتابة تاريخ المجموعات الإنسانية التي تعاقبت على القدس منذ فجر التاريخ، ويقترح بحث الأبعاد الأخلاقية لما ورد في العهد القديم من دعوات تتعلق بالاستيلاء على أرض وإبادة الشعوب والسكان. ويكشف الجعبة عن فجوة بحثية أخرى تتعلق بغياب سردية فلسطينية عن النكبة، وفجوة أخرى يشارك الخالدي فيها، تتعلق بالدراسات حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفلسطين.

وفي البحث المعتمد على الأرشيفات، يتفق دومانى (دومانى، 2009)، مع الجعبة حول نقص الأبحاث التي تؤرشف حياة الناس، ويرى بأن الأبحاث الأرشيفية كانت تركز حتى فترة قريبة على أرشفة البلاد، أكثر مما تركز على أرشفة حياة الناس عبر التاريخ، وهو الأمر الذي يتطلب تعديلاً لتحقيق التوازن بين أرشفة البلاد وأرشفة حياة الناس. وبنفس الاتجاه يذهب سرور (سرور، 2009)، ويضيف إن هناك ضعفاً كبيراً في فهرسة سجلات المحكمة الشرعية في القدس ودراسة محتوياتها التي تعكس مختلف جوانب حياة الناس في القدس، وأن الأبحاث عنها تقتصر على دراسات استقرائية تقريرية، وأخرى استعراضية انتقائية نتائجها جزئية وغير قابلة للتعميم.

التطورات البحثية من 2010 - 2023: هل عالجت الفجوات؟

شهدت الفترة من 2010 وحتى اليوم تعقيدات لا مثيل لها على وضع القدس، ترتب عنها اتساع الأجندة البحثية بشأن المدينة. وقد بدأت هذه التعقيدات عام 2009 مع تولي حكومات ما يسمى باليمين الإسرائيلي لسدة الحكم في إسرائيل وسعيها لتحقيق الحسم في عمليات تهويد وأسرة القدس. يرتبط التهويد باقتلاع المقدسين ومصادرة أراضيهم وبيوتهم، لتوسيع الاستيطان الاستعماري الإحلالي على حسابهم، وتغيير المكان والمشهد والفضاء

والإقليم بما يشمل تغيير المعالم وفرض التسميات العبرية مكان العربية، أما الأسرة فيقصد بها إنهاء وجود المؤسسات الفلسطينية في المدينة وإحلال المؤسسات الإسرائيلية مكانها، وتغيير مناهج التعليم الفلسطينية بالمناهج الإسرائيلية، وتشويه هوية المجتمع الفلسطيني المقدسي عامة ونخبه خاصة، ومحاولة خلق هوية مقدسية منفصلة عن فلسطينيتها، كما تسعى لذلك المؤسسات الإسرائيلية، دون أن يعني ذلك تحويلها إلى الهوية الإسرائيلية، حيث إن هذا التحول مستحيل الحدوث حتى للمتجنسين بالجنسية الإسرائيلية، وهم قلة لا تتعدى الـ5 بالمئة من المقدسيين، أي 1892 مقدسيًا، حسب الإحصاءات الرسمية لوزارة الداخلية الإسرائيلية (Hasson, 2022)، وذلك لأن الصهيونية ترفض انضمام غير اليهود للتأسرل لأسباب عنصرية وديمغرافية.

يتم التهويد وفق التعريف الصهيوني لما هي القدس، وهو تعريف يتوسع باستمرار على حساب قضم أراضي المحافظات الشمالية وضمها للقدس التي باتت وفق آخر المخططات الصهيونية تصل إلى مشارف مستعمرة آرئيل شمالاً، وإلى مشارف مدينة الخليل جنوباً، وتصل حتى البحر الميت جنوباً. ويشمل مشروع التهويد إنشاء وتوسيع ما يسمى بالحوض المقدس حوالي البلدة القديمة من القدس، وتهويد المشهد بشكل كامل في محيطها، وتغيير الوضع القانوني والتاريخي للمسجد الأقصى المبارك، وإنشاء مدينة تحت مدينة القدس مخصصة للسياحة وتربطها معها شبكة من الأنفاق، واختراع أماكن دينية مقدسة لليهود في القدس ورد ذكر أسمائها في صفقة القرن، وبيّنت دراسة لمؤسسة عيمق شافيه الإسرائيلية أنها لا تمت للقداسة من وجهة نظر يهودية بصله (Emek Shaveh, 2020)، وربط مستعمرات معاليه ادوميم وجفعات زئيف وغوش عتصيون بالقدس من خلال تواصل في البناء وشبكات طرق وأنفاق، وتنفيذ مشروع القدس 2050 الذي يشمل إنشاء منتجعات سياحية ضخمة وحدائق «وطنية»، وفنادق ومطار كبير قرب منطقة النبي موسى، ومجمعات تكنولوجيا عالية، بما ينقل مركز إسرائيل من منطقة غوش دان إلى القدس الكبرى ومتربوليتان القدس (Jerusalem 2050 project)، مما يمزق وحدة أراضي المحافظات الشمالية ويشكل وقائع



على الأرض تحول دون نشوء أية دولة فلسطينية متواصلة جغرافياً.

تكمل الأسرلة عملية التهويد من خلال مسارات تعتمد القوة ناعمة المظهر خشنة الجوهر، من أسرلة كاملة لقطاع التعليم، وإغلاق المؤسسات المقدسية ومطاردة النشاط وأي مظهر من مظاهر عمل السلطة الوطنية الفلسطينية في القدس، وإحلال اقتصاد مكان اقتصاد، ومجتمع فوق مجتمع في القدس الشرقية، وإطلاق سلسلة من الخطط الخمسية لإغلاق الفجوات بين القدس الشرقية والقدس الغربية، مما سيجعل مستوى حياة المستوطنين في القدس الشرقية مساوياً لنظيره لدى المستوطنين في القدس الغربية. في إطار ذلك يتم تجنيس قلة فلسطينية بالجنسية الإسرائيلية، ويتم تشويه وعي بعض النخب بما يجعلها تتجه للانخراط في النظام الإسرائيلي والقول بضرورة السعي لتحقيق المطالب المعيشية اليومية للمقدسيين من خلال الانتساب للمؤسسات الإسرائيلية والتوجه للمشاركة في الانتخابات البلدية الاحتلال، ورفع الصوت ضد ما يطلق عليه تسمية «تقصير السلطة الفلسطينية تجاه القدس». كما يتم توسيع العمل في هامش الاقتصاد الإسرائيلي ليشمل الطبقة الوسطى من الأطباء والمحامين والمهندسين والصيادلة وعاملي التكنولوجيا العليا، والتفكير باستخدامهم هم وفلسطينيي الداخل كجسر بين اليهود والعرب كونهم يتكلمون اللغتين العبرية والعربية ضمن المشاريع الاقتصادية المشتركة مع دول التطبيع العربية الجديدة.

نجم عن هذه التحولات واقع شديد التعقيد، أهم سماته هي التغير السريع الذي يحدث على أرض القدس كل يوم، مما خلق تحدياً أمام قدرة الأبحاث الفلسطينية على الاستجابة له. مع ذلك نشأت خلال هذه المرحلة أسئلة بحثية جديدة ذات علاقة بالتغيرات في السياسات الإسرائيلية في القدس الشرقية منذ عام 1967 بين الثابت والمتحول، والتوازن بين أساليب القوة الناعمة والقوة الخشنة وكيف تخدم كل منهما الأخرى، والعلاقات بين شطري المدينة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وتأثير نشوء مجتمع استيطاني استعماري في قلب المواقع الفلسطينية في القدس الشرقية على المجتمع الفلسطيني المقدسي، والمجتمعات ثنائية السكن مثل التلة الفرنسية وطبيعة العلاقات فيها، وأدوار مؤسسات التأمين الوطني والصحي

والمراكز الجماهيرية والمؤسسات الاحتلالية الأخرى، وآثار أشطتها على المقدسيين في ظل إغلاق وتمهيش المؤسسات الوطنية الفلسطينية في المدينة، والعلاقة بين المطليبي والوطني في كفاح المقدسيين وتأثير ذلك على الهوية، وتوجهات النخب والعامّة، وفهم الهبات المقدسية المتتالية سنوياً منذ عام 2014، وأدوار المجتمعات المحلية والحركات والحركات واللاحركات فيها، وتأثير توسع القدس على حساب أراضي المحافظات الشمالية على فرص نشوء دولة فلسطينية مستقبلية، والفوارق الآخذة بالتقلص بين سياسات الضم الاحتلالية في القدس وسياساته للضم الفعلي والقانوني في المنطقة (ج)، التي تمثل ثلثي مساحة المحافظات الشمالية، وحالة البلدة القديمة والتغيرات الطارئة عليها في جميع المجالات ودراسات معمقة عن حاراتها المدمرة، والمسجد الأقصى والتغيرات على وضعه التاريخي والقانوني، وحالة الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس، والتغيرات التي طرأت عليها في حقب مختلفة، ودراسات عن المشهد الثقافي والحضاري والعمراني والمباني التاريخية، وعن التعليم وآثار سياسات الاحتلال على مختلف القطاعات، وأثر جدار الفصل العنصري والإغلاق في الفصل بين المقدسيين أنفسهم وبينهم وبين بقية الفلسطينيين، ودراسات عن منظمات المستوطنين وتوجهاتهم، وعن حائط البراق وتفكيك علاقة اليهود به، ودراسات تتقنى جوانب من تاريخ القدس ومؤسساتها لتستلهم دروساً للحاضر منها، أو لترصد استمرارية ظواهر ومؤسسات نشأت في العهد العثماني ولا زالت مستمرة حتى اليوم.

تصدت مجلة المقدسية الصادرة عن جامعة القدس لبعض من هذه الأسئلة وسواها، كما تصدت لذلك المجالات الأخرى للجامعة وأبحاث أساتذتها وطلبتها ضمن رسائلهم للماجستير، وكذلك فعلت بعض مقالات مجلة شؤون فلسطينية، وساهم باحثون شباب في التصدي لهذه الأسئلة، مثل أحمد عز الدين أسعد وعلاء العزة وغيرهما، وباحثون آخرون مثل سعيد أبو علي ونائلة الوعري وهند البديري وبيان نويهض الحوت وبلال سلامة وغيرهم. وانطلقت موجة أبحاث أخرى تقارن الاستيطان الاستعماري في القدس وفلسطين بحالات أخرى في العالم (آمنة بدران وأريج خوري - صباغ ووليد سالم)، وتطورت أبحاث



تدرس آثارًا أخرى للاحتلال تتعلق بالتغيرات العمرانية والحفريات والأنفاق (يوسف التنتشة ونظمي الجعبة)، وباحثان الزمن (مها السمان) واحتلال الحواس، ونزع الطفولة (Unchilding) والإماتة (نادرة شلهوب كيفوركين)، والتمقدس وتثبيت الوجود كعملية مستمرة تبني السيادة من أسفل في مواجهة سيادة الاحتلال الفوقية (وليد سالم)، كما واستمرت مجلة جيروزاليم كوارترلي الصادرة باللغة الإنكليزية على مدى (94) عددًا صدرت من عام 1998 وحتى صيف 2023، في بحث مواضيع خاصة، منها ما يتعلق بالذاكرة والسردية والثقافة ومواقع القدس الغربية والشرقية وأنظمة المراقبة والسيطرة الإلكترونية وغير الإلكترونية، والاحتكاكات على الحواجز العسكرية، وعلى التخوم داخل كل حارة بين المستعمرين القاطنين فيها عنوة وبين سكانها الفلسطينيين الأصليين، وتوثيق النكبة من الأرشيفات والصور والمذكرات الشخصية والعائلية، وغير ذلك فيما يتعلق بماضي وحاضر ومستقبل المدينة، واستمر تحقيق كتب فضائل القدس، واستمر مشهور الجبازي وسواه في دراسة الأدب والإعلام ومؤسسات التعليم في القدس، وانضم أكاديميون آخرون إلى حقل الدراسات الأدبية عن القدس، مثل زياد أبو لبن وخالد غيث وغيرهما.

نجم عن الانسداد الكامل الذي وصلت إليه العملية التفاوضية بشأن القدس خلال هذه الفترة أيضًا، نوع من عودة يقظة الروح نحو أهمية البحث بشأن تاريخ القدس القديم وعلى مدى العصور لدراسة الحضارات المختلفة التي تعاقبت عليها، وأسهمت هذه الدراسات التي شارك فيها حمدان طه وهاني نور الدين وعيسى الصريع ومحمود هوارى ونور مصالحة ونظمي الجعبة ويوسف التنتشة وصلاح الهودلية ومحمد المرظن وعمر الغول وإبراهيم الفني وباسم رعد وأحمد الدبش وسواهم، في كشف التاريخ الحضاري المتنوع والثري للقدس، ودحض وتفنيد الأساطير والروايات الصهيونية التي لم يتم العثور على شواهد مادية تبين صحة ادعاءاتها بشأن المدينة، وراحت مؤسسة الدراسات الفلسطينية تصدر الكتب والمقالات عن مختلف جوانب الحياة وتاريخ القدس، لاسيما باللغة الإنكليزية، سواء في مجلة الدراسات الفلسطينية أو من خلال إصدارات المؤسسة من الكتب.

وفي اتجاه آخر، نما التوجه لإعداد دراسات تتعلق بالتخطيط الحضري للمدينة بوصفه أحد الوسائل لخلق وقائع فلسطينية على الأرض، بما يساهم في تقويض سيطرة الاحتلال عليها، ومن الباحثين في هذا المجال راسم خماسي، وجاد إسحاق، ومركز التخطيط البديل في الداخل الذي يرأسه الدكتور حنا سويد، ويوسف جبارين وأحمد الأطرش ومها السمان ويارا السيفي وعمر يوسف. كما نما التوجه لتوثيق الأوقاف الإسلامية والمسيحية وتوثيق مخطوطات المسجد الأقصى وتراث القدس، كما فعل حنا عيسى ويوسف النتشة وعزيز العصا ويوسف الأوزبكي ومركز ميثاق عوضًا عن المؤتمرات السنوية للهيئة الإسلامية العليا بشأنها. وأنتجت أبحاث عن الأوقاف وسجلات المحكمة الشرعية من قبل موسى سرور وزياذ المدني وعبد الرزاق متاني وعروة عكرمة صبري وإبراهيم حسني ربايعة وسواهم. كما صدرت كتب توثيقية وتحليلية عن مكتبات القدس القديمة ومتاحفها ومشهدا الحضاري، ساهم فيها بشير بركات وخضر سلامة وإسحق البديري وقاسم أبو حرب ونظمي الجعبة.

تم في هذه الفترة إزاء تنوع وتوسيع الأجندة البحثية الفلسطينية بشأن القدس لتشمل مواضيع أكثر وأوسع، وراحت الأبحاث تأخذ طابعًا أكثر عمقًا، كما تعددت مقاربات التناول بين الاحتلال والأبارتهايد والاستيطان الاستعماري وبين التناول من منظور إسلامي أو مسيحي أو قومي عربي أو علمي بحث، وبين التركيز على القدس بما كانت عليه حدودها عام 1967 أو التركيز على «الأقداس» التي أضيفت إليها لاحقًا على حساب ضم مناطق من الضفة إلى القدس. في هذه المرحلة نحتت أيضًا مصطلحات جديدة قادرة على التعبير عن عمق التغيرات الجارية، وشارك في هذه العملية باحثون وباحثات فلسطينيون يعيشون في القدس وخارجها، وفي كل أرجاء الأرض. في هذا الإطار تعددت فروع البحث، فاستمر زيدان الكفافي وعبلة المهدي ويونس عمرو ومحمد هاشم غوشة في التركيز على التاريخ الكلي للقدس، فيما ركز آخرون وردت بعض أسمائهم أعلاه على التاريخ القديم والآثار، وتخصص مؤرخون بفترات محددة مثل خليل عثمانة ومروان أبو خلف اللذين ركزا على الفترة الأموية، وسعيد البيشاوي الذي درس فترة الحروب الصليبية، ومحمود هوارى



وعبد الرحمن المغربي حول الفترتين الأيوبية والمملوكية، وعمر عبد ربه عن الفترة الفاطمية، وعديدون ركزوا على الفترة العثمانية، كعادل مناع وبطرس أبو منه ويوسف التتشة. أما بشأن التاريخ المعاصر، فيجد المرء على سبيل المثال لا الحصر وليد الخالدي ورشيد الخالدي وسليم تماري وعصام نصار وتيسير جبارة وسميح حمودة ومهدي عبد الهادي وعدنان عبد الرازق وغيرهم كثيرون. وقد تميز نظمي الجعبة بكتاباته الخصبه عن غالبية المراحل التاريخية للقدس. وفي الأبحاث الجغرافية والتطور العمراني عن القدس، يمكن ذكر أسماء وليد مصطفى ويوسف التتشة وأمين مسعود أبو بكر وجمال عمرو على سبيل المثال لا الحصر. وفي الدراسات القانونية عن المدينة نجد سعيد أبو علي ومحمد فهاد الشلالدة وكمال قبعة ومنير نسيبة وأسامة حلبي وغيرهم.

عدا عن التاريخ، تميّز معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس) بالأبحاث الاقتصادية المتخصصة عن القدس، كما شارك في هذه الأبحاث محمد اشتية ورجا الخالدي ومحمد خضر قرش وعاطف علاونة. وفيما يتعلق بالسياحة كقطاع اقتصادي هنالك الباحث عايد صلاح الدين.

وفي الدراسات المتخصصة في حقوق محددة، يمكن أولاً ذكر تلك التي تتعقب الاستيطان الاستعماري في القدس، ونشط فيها جاد إسحق ووليد سالم وخليل التفكجي وفراس القواسمي وسواهم. وركزت أسمى الإمام وزياذ عابدين وهاني عابدين ومعتصم حمدان على قطاع الصحة في القدس، فيما بحثت مرام مصاروة وبعاد الخالص ونضال جيوسي قطاع التعليم. وتميز قسطندي الشوملي ومشهور الحبازي وجهاد أحمد صالح وماجد تريان وحسن السلوادي وخالد غيث في الأبحاث الخاصة بتاريخ الأدب والفكر والثقافة في المدينة، ودرس برنارد سايبلا الحالة الاجتماعية في القدس والوجود المسيحي فيها، وهو ما نشط فيه أيضاً حنا عيسى، وبحث متري الراهب في تطور مواقف الكنائس المحلية في فلسطين بشأن المدينة. وركز عبد الرحمن التميمي على قطاع المياه في القدس. وكتبت فارسين شاهين وجورج هنتليان عن الأرمن في القدس، ونظمي الجعبة عن حارة المغاربة

وحارة اليهود. وفي الأبحاث عن الوضع السياسي للمدينة والتصورات لمستقبلها، يمكن ذكر أسماء أحمد قريع (أبو علاء) وصائب عريقات، وسعيد أبو علي ومناويل حساسيان ونظمي الجعبة ومنذر ومحمد الدجاني، والأخير أصدر أيضًا كتابًا ببلوغرافيًا عن الدراسات التي صدرت عن القدس، وكذلك فعلت فارسين شاهين التي أصدرت كتابًا مماثلاً من خلال جمعية الدراسات العربية. وفي العقد الأخير انضمت المكتبة الخالدية بثوبها الجديد إلى مسار الأبحاث عن القدس، وذلك عبر البدء بنشر كتابات روجي الخالدي وكتاب عن فضائل القدس بالتعاون مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وتواصل المكتبة جهودها بذات الاتجاه.

تحديات الأبحاث الفلسطينية القادمة بشأن القدس

رغم التطورات النوعية على البحث الفلسطيني بشأن القدس في العقدين الأخيرين، إلا أن بعض المشكلات لا زالت قائمة بما يحول دون التطور الكافي لهذا البحث، ولعل من أبرز هذه المشكلات غياب الأرشيف الفلسطيني الكامل، وغياب المكتبات الشاملة، ونقص الباحثين المتمرسين في بعض الحقول، مترافقة مع الإقبال الشديد من قبل الباحثين الفلسطينيين للكتابة عن القدس، سواء ممن يعرف ومن لا يعرف، مما يخلق خلطاً واضطراباً، ومشكلة الأبحاث الممولة من جهات غربية ذات أجندة خاصة، وكذلك مشكلة أبحاث المنظمات غير الحكومية الضحلة في الغالب، ورافق معها المشكلة المتعلقة بالأبحاث المشتركة الفلسطينية الإسرائيلية التي تصل إلى نتائج مخادعة بشأن وضع المدينة الحالي والمستقبلي. وهي مشكلات تخلق اختلاطاً بين الأبحاث ذات الجودة والأخرى غير ذات الجودة وتلك التي تعبر عن الواقع مقابل تلك التي تزيفه. وهناك مشكلة الأبحاث الوصفية المتكاثرة التي لا تستند إلى أطر نظرية تحليلية، وبالتالي تنتهي بسر د ما هو معروف بطريقة مدرسية دون إضافة. وهناك أيضًا مشكلة نقص الموازنات المخصصة للبحث العلمي، وفي حالة القدس يكتسي هذا الأمر طابعًا مضاعفًا، حيث هنالك الموازنات الضخمة لمعاهد إسرائيلية متخصصة بدراسات القدس (مثل معهد القدس لبحث السياسات، ومركز القدس



للسُّوون العامة على سبيل المثال لا الحصر)، وأخرى غربية لها مقراتها في المدينة منذ عقود وقرون، مثل مدرسة الآثار البريطانية (معهد كنيون)، والمدرسة الأمريكية للآثار الشرقية (معهد أولبرايت)، ومعهد الآثار الألماني، ومعهد دراسات الكتاب المقدس والآثار الفرنسي (إيكول بيبليك)، وغيرها، وفي عام 2023 قام باحثون فرنسيون بالإعلان عن نتائج مشروع دعمه الاتحاد الأوروبي وبدأ منذ عام 2014، تمّ من خلاله جمع (40) ألف وثيقة أصلية بـ(15) لغة عن القدس في الفترة بين 1840 – 1940، وشارك في المشروع (60) باحثاً و(50) مؤسسة شريكة، منها: فرنسيّاً: القنصلية الفرنسية والمعهد الفرنسي ومؤسسة إيكول بيبليك للآثار، وجامعات أوروبية. ومن فلسطين: جامعة بيرزيت ومؤسسة الدراسات الفلسطينية والمكتبة الخالدية وغيرها (www.openjerusalem.org).

إلى جانب هذه التحديات، لا زال هنالك التحدي الأكبر المتعلق بالسيطرة التي لا زالت مستمرة لمنهجية الدراسات التوراتية على الدراسات الغربية بشأن القدس وفلسطين، ورغم ظهور اتجاه نقدي في الغرب لهذه الدراسات، من رموزه توماس ثومبسون وآخرون، إلا أن الشائع في الدراسات الغربية لا زال يقوم على اعتماد التوراة كمرجع والسعي للبحث عن المواقع التي تذكرها في فلسطين من خلال الحفريات الأثرية والدراسات. يقوم هذا التوجه على أساس أن تاريخ فلسطين هو تاريخ اليهود فيها، ويهمش تاريخ الشعوب التي سبقت وجود اليهود في فلسطين وتاريخ المسيحيين والمسلمين في فلسطين والقدس، ويطلق اسم جبل الهيكل (Temple Mount) على المسجد الأقصى في دراساته. بدأ هذا التيار البحثي الذي لا زال شائعاً من خلال البعثات الغربية إلى فلسطين مثل صندوق اكتشاف فلسطين الذي تأسس عام 1865، وتلته معاهد أخرى مثل المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية (الدومينيكان) عام 1890، والمدرسة الأمريكية للآثار عام 1900، والمدرسة الألمانية عام 1900. وتواصل عمل هذه المدارس حتى اليوم، كما أنشأت دائرة الآثار في الجامعة العبرية في القدس منذ عام 1924 لتواصل على نفس الطريق وركزت على الحفريات والدراسات حول محيط المسجد الأقصى من أجل العثور على الهيكل، وعمل لاحقاً آثاريون إسرائيليون

كيغثال يادين وبنجامين مزار وإيلات مزار وغيرهم بنفس الاتجاه. بمعنى آخر يشكل هذا «التحالف» البحثي الغربي - الصهيوني الذي يدرس فلسطين والقدس من منطلقات توراتية تحدياً رئيسياً، وإن كانت دراساته قد بدأت تخضع للتفكيك من الاتجاه النقدي المذكور في الغرب، مضافاً لها أصوات من داخل الأكاديمية الإسرائيلية ذاتها شككت في صحة الرواية التوراتية كزئيف هرتسوغ ونورمان فنكلشتاين وشلومو ساند.

ردم الفجوات: رزم بحثية مقترحة

بناء على ما تقدم عرضه، وبين الثابت والمتحول في سياسات الاحتلال تجاه القدس والثابت والمتحول في اتجاهات البحث الفلسطيني بشأن القدس، فإن هناك مجموعة من «الرزم» البحثية التي لا زالت تنتظر التطوير:

تتعلق الأولى باكتشاف فلسطين القديمة تاريخياً وآثاراً وحضارات ومجتمعات، وفي قلبها القدس. شق هذا الطريق مجموعة من الباحثين منهم نور مصالحة في كتابه المرجعي «أربعة آلاف عام من تاريخ فلسطين»، وباحثون آخرون في الآثار والتاريخ القديم سبق ذكرهم، وهناك كتابات عن مراحل زمنية مختلفة من حياة القدس، ولكن لا زال هذا الحقل ينتظر المزيد لكشف المستغلات والألغاز التي لا زالت عالقة في الحقب المختلفة وتحقيق تقدم في معالجة بعض القضايا الخلافية التي لا زالت تكتنف البحث في تاريخ فلسطين، وتسميات مواقعها والتحرر من الرواية الصهيونية والتوراتية بهذا الشأن.

أما الثانية فهي ذات صلة بالمفهوم الصهيوني لما هي القدس التي يطبق سياساته عليها، وهو مفهوم متغير انتقل من «القدس الموحدة» إلى «القدس المتربوليتان»، وتحليل تطبيقات هذا المفهوم المتوسع على الأرض وديناميكيات فعله والأطر القانونية والمؤسسية التي يستعملها، ودور الدولة الصهيونية في تحقيقه، ودور الاقتلاع والإحلال والعامل الديمغرافي فيه، وماهية المجتمع الاستيطاني الاستعماري في القدس ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. ديناميكيات عمله، القوى الفاعلة فيه إلى جانب الدولة والحكومة ووزاراتها ومؤسساتها، مثل المنظمات غير الدولية/ غير الحكومية (بعضها منظمات استيطان كالعاد وعطيرت كوهانيم ونحلات



شمعون، أو منظمات هيكل للسيطرة على الأقصى، وأخرى منظمات مدنية تستخدم القوة الناعمة لدمج المقدسين في النظام الإسرائيلي)، والبلدية، وذلك من حيث قوام هذه المنظمات واتجاهاتها وتوجهاتها الحاضرة والمستقبلية وأفعالها وعلاقتها داخل المجتمع الإسرائيلي وعلى مستوى العالم، وداعموها، ومصادر تمويلها، وطرق اشتباكها مع المجتمع المحلي المقدسي وما تستعمله من وسائل للسيطرة على الأرض وتغيير المكان والإقليم والمشهد (معالم وأسماء)، والفضاء من خلال إجراءات فوق الأرض وحفريات وأنفاق لخلق مدينة أخرى تحتها. ودراسة دور جهاز القضاء الإسرائيلي والكنيست في تشريع القوانين وإنفاذها من أجل الاستحواذ على المدينة.

ثالثاً: المقدس: نشوء المسجد الأقصى المبارك تاريخياً، تفكيك قضية الهيكل، تفكيك مقولة الستاتسكو وعدم انطباقها على المسجد الأقصى. دراسة تاريخ الأماكن المسيحية المقدسة في القدس، ودحض الأساطير الصهيونية حول أماكن دينية مخترعة لليهود في القدس. وبحث مواقف منظمات وحركات الهيكل، ودراسة الأوقاف الإسلامية والمسيحية في المدينة وأدوارها عبر التاريخ، وموضوع الوصاية الهاشمية على الأماكن المقدسة في القدس ومساراته وسياسات الاحتلال لتقويضه.

رابعاً: القدس المعاش: حياة الناس في المدينة، تاريخها الاقتصادي والاجتماعي والحضارات التي تعاقبت عليها. حالها الحاضر: كيف تعيش المجتمعات المحلية المقدسية؟ كيف تتكيف؟ وكيف تقاوم؟ كيف تدير اقتصادها وتحل نزاعاتها وتنظم حياتها الاجتماعية؟ ما هي الوسائل غير الرسمية التي تعتمد عليها لحكم نفسها بنفسها في ظل حل بلدية القدس (أمانة القدس) عام 1967 ومنع السلطة الوطنية الفلسطينية من العمل في القدس؟ كيف تحقق صمودها وثبت وجودها؟ ما هي وسائل مقاومتها؟ وكيف تطورت وسائل وأشكال هذه المقاومة بأبعادها السياسية والكفاحية الميدانية والاقتصادية التنموية والقانونية والإعلامية والمعرفية منذ عام 1967 وحتى اليوم؟ كيف تأثر ذلك بالحركة الوطنية الفلسطينية؟ وكيف ساهم في تطوير رؤاها؟. ما هو تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في القدس ومراحل تطورها؟

كيف نفهم هبات القدس؟ ما هي بواعثها ومساراتها؟ وهل تراكم على بعضها بعضاً باتجاه الاستقلال أم تبدأ كل مرة من جديد؟. كيف يدير المقدسيون قطاع التعليم وما هي آليات التصدي لعمليات أسرته، ومثله قطاع الصحة، وفرض الانتساب لمؤسسات إسرائيلية. كيف تؤثر سياسات وخطط الاحتلال الاقتصادية والاجتماعية على القدس الشرقية؟ ما هي ردود فعل الناس والنخب على هذه الخطط؟ وما هو تأثير هذه الخطط مع عزل المقدسين عن بقية الفلسطينيين على الهوية الفلسطينية للمقدسين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؟ لاجئي القدس ونازحيها؟ حال مخيماتها؟ تجمعاتها البدوية والقروية ومركزها وبلدتها القديمة؟. المواطنة الفلسطينية في القدس والتغيرات الطارئة عليها، وموضوع التجنس بالجنسية الإسرائيلية، والمواطنة في القدس بين الأسرلة الموهومة والفلسطنة المحجورة. الحكم المحلي في القدس وتطوراته منذ العهد العثماني وحتى اليوم بالعودة إلى الأرشيفات العثمانية والانتدابية البريطانية والأردنية والإسرائيلية وأرشفة أمانة القدس. وإنتاج كتب جيدة عن اقتصاد القدس ومجتمعها والسياحة إليها وتاريخها الاجتماعي الاقتصادي وحالة الحرف فيها، والعمل والعمال والنقابات، والتجارة، والقطاع المالي والمصرفي، والمجتمع المدني، والحركات الاجتماعية والمنظمات المبنية على المجتمع المحلي، وحالة قرى القدس وأحيائها في القدس الغربية قبل حرب 1948، ومسار وآثار نكبة 1948 ونكسة 1967 عليها وتوثيق المعلومات عن الشهداء والأسرى والمعارك التي تم خوضها، وإنتاج مساق تعليمي للعالمين العربي والإسلامي والعالم بشأنها، وكذلك كتب عن المجتمعات المحلية التي لازالت قائمة في القدس وحالها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وعن نخبتها ورموزها السياسية والاجتماعية عبر تاريخها.

خامساً: وضع القدس المركزي بالنسبة لفلسطين: كيف كانت كذلك تاريخياً؟ ما هي التحولات التي جرت على ذلك؟ هل انتقلت مركزية القدس بالنسبة لفلسطين من مركزية جغرافية إلى مركزية ثقافية وكفاحية (بمعنى أنه من القدس تنطلق شرارة الانتفاضات الفلسطينية الشاملة) بعد الإغلاق الذي بدأ عام 1993؟ كيف نعيد مركزية القدس



لفلسطيني 48 والعالم؟ ما هو دور/ أدوار وأنماط ممارسة فلسطيني 48 المقيمين في القدس أو الوافدين منهم لزيارتها؟ ما هي الدروس المستفادة من هذه الأدوار؟ وكيف يمكن البناء عليها لتعزيز عملية تثبيت الوجود الفلسطيني في القدس؟ ما هي أنماط ممارسة فلسطيني 48 في العالم تجاه القدس وكيف يمكن تطويرها؟ ما هي الروابط التي يمكن البناء عليها لتوطيدها بين فلسطيني القدس والضفة وغزة في ظل الإغلاق والحصار؟ وما هي الأدوار التي يمكن أن يلعبها الفضاء الإلكتروني بهذا الشأن؟ ما هي الخطة الفلسطينية لمحافظة القدس (القدس الأوسع فلسطينياً)؟ وماذا يطبق منها مثلاً لخلق أطواق سكانية فلسطينية تحدّ من تطور المشروع الصهيوني الهادف لخلق أطواق ذات غالبية صهيونية حوالي محافظات رام الله وبيت لحم وسلفيت، تجري كلها تحت عنوان توسيع القدس؟

سادساً: القدس والعرب والعالم: دراسة قرارات الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي والأمم المتحدة ومنظماتها والمنظمات الإقليمية بشأن القدس، وما ترتب عنها وكيف يمكن البناء عليها، ومراجعة وضع القدس القانوني وتطورات منذ قرار التقسيم الذي حدد وضعها كمدينة دولية وحتى اليوم، ودراسة وضع القدس في قرارات المحاكم الدولية وكيفية البناء على هذه القرارات، وكذلك دراسة سياسات دول العالم المتخلفة ومواقفها تجاه القدس واحدة واحدة وما ترتب عن هذه السياسات على الأرض، ودراسة المفاوضات والمشاريع السياسية بشأن القدس ومعنى القدس وحدودها في كل مشروع من هذه المشاريع، والدروس المترتبة عن المفاوضات بشأن المدينة. فضلاً عن دراسة مواقف وأدوار وأنشطة حركات التضامن العربية والدولية مع القدس وفلسطين.

سابعاً: دراسات معرفية تتعلق بالأطر النظرية التي نستعملها لفهم القدس مقدساً ومعاشاً عبر الحقب الزمنية المختلفة التي مرت عليها، ولتقصي الرواية الصهيونية بشأنها ونقض أساطيرها. ودراسة المؤسسات الثقافية والمشهد الثقافي في المدينة وتطورات منذ فجر تاريخ المدينة وحتى اليوم، بما يشمل الأدب والموسيقى والتراث الشعبي والمكتبات والمتاحف والصحف والمجلات والإذاعات ومختلف وسائل الإعلام المقروء والمريئي

والمسموع والإلكتروني/ الرقمي، وتاريخ المعاهد، ودور العلم في المدينة وعلمائها عبر التاريخ.

ثامناً: دراسة التراث المعرفي الذي تكون عن القدس من خلال الدراسات الفلسطينية الحديثة والمعاصرة، لاسيما في أواخر العهد العثماني وعهد الانتداب، كما وأرشفة سجلات المحكمة الشرعية وكنائس القدس بشكل شامل، ونشر يوميات ومذكرات كتاب وقادة تلك الفترة، والمزيد من دفاتر العائلات والصور بناءً على ما بدأت به مؤسسة الدراسات الفلسطينية بهذا الخصوص، كما والبناء على مشروع مؤسسة رواق المهتم المتعلق بدراسة وتوثيق المباني الأثرية والتاريخية في القدس وفلسطين. يتطلب ذلك تطوير أرشيف ومكتبة وطنية تجمع هذا التراث وتجعله متاحاً للباحثين والباحثات للاقتباس منه والبناء عليه.



المراجع المذكورة في الورقة:

المراجع العربية:

- الجعبة، نظمي (2019). القدس في الكتابات التاريخية الإسرائيلية. الرباط: وكالة بيت مال القدس الشريف.
- الخالدي، رشيد (2005). «حول منهجية الكتابة في تاريخ القدس». في «تماري، سليم ونصار، عصام (محرران). القدس مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز دراسات القدس في جامعة القدس. ص: 10 - 35».
- دوماني، بشارة (صيف 1991). «التأريخ وإعادة التأريخ لفلسطين العثمانية والانتدابية». جامعة بيرزيت: مجلة آفاق فلسطينية، عدد 6، ص: 5 - 32.
- دوماني، بشارة (2009). «أرشفة فلسطين والفلسطينيين». في «فراج، خالد، وتماري، سليم، ونصار عصام (محررون). أوراق عائلية: دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ص: 9 - 22».
- سرور، موسى (2009). «سجلات محكمة القدس الشرعية: إشكاليات منهجية». في «فراج، خالد وتماري، سليم ونصار، عصام (محررون). أوراق عائلية: دراسات في التاريخ المعاصر لفلسطين. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية. ص: 23 - 42».
- السكاكيني، خليل (مسلم أكرم محرر 2004). يوميات خليل السكاكيني: الكتاب الثاني. رام الله: مركز خليل السكاكيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- صالح، جهاد أحمد (2011). الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين. رام الله: الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.
- الصايغ، يوسف (حزيران 1990). المقومات الاقتصادية للدولة الفلسطينية. دائرة الشؤون الاقتصادية والتخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية.
- نسيبة، سري: الصفحة الإلكترونية: www.sarinusseibeh.com
- نشرة أبحاث جامعة بيرزيت (1985). «مؤسسات البحث العلمي في القدس، مؤسسات غربية: مكتبة المسجد الأقصى وجمعية الدراسات العربية والملتقى الفكري العربي». المجلد (1)، العدد (1). ص. 20 - 29.
- التنتشة، يوسف سعيد (صيف 2002). «نشرة تراث: مؤسسة التعاون». مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد (13)، العدد 51. ص. 164 - 167.

English Resources

- Emek Shaveh (20 / 4 / 2020). «The Santification of the Antiquity Sites in the Jerusalem Section of the Peace to Prosperity Plan».
- Hasson, Nir (29 / 5 / 2022). «Just 5 Percent of East Jerusalem Palestinians Received Israeli Citizenship since 1967». www.haaretz.com
- Jerusalem 2050 Plan. www.jerusalem5800.com
- Open Jerusalem Project. www.openjerusalem.org
- Salem, Walid (2006). «Internalization and externalization: Palestinian Jerusalemites Adaptations to Internal Occupation». Barcelona: The Center of Contemporary Culture Barcelona. www.cccb.org